الفصل السابع

اللغز فى الأدب الشعبى

اللغز شكل أدبى شعبى قديم قدم الاسطورة والحكاية الخرافية، كما أنه كان يساويهما فى الانتشار • ولم يكن اللغز فى الاصل مجرد كلمات محيرة تطرح للسؤال عن معناها بين ثلل الاصحاب فى الأمسيات الجميلة • وهذا ما يدفعنا لان نبحثه بوصفه عملا أدبيا شعبيا أصيلا شأنه شأن الانواع الادبية التى سبق الحديث عنها •

واللغز فى جوهره استعارة ، والاستعارة تنشأ نتيجة التقدم العقلي فى ادراك الترابط والمقارنة وادراك أوجه الشبه والاختلاف • على أن اللغز فضلا عن ذلك يحتوى على عنصر الفكاهة ، التى تنجم عن احتواء اللغز لعنصر المفاجأة •

ولكن لماذا نشأ اللغز أول ما نشأ ؟ يقول « موريس بلوم فيلد » فى بحث عن الالغاز البراهمانية ألقاه فى مؤتمر الفن والعلم عام ١٩٠٤ • « ان اللغز نشأ منذ قديم الزمان حينما كان العقل البدائى يمرن نفسه على التلائم مع الكون الذى يحيط به • ذلك أنه كلما كانت الرؤية أكثر نضارة ، ازدادت الرغبة فى ادراك ظواهر الطبيعة وظواهر الحياة، وادراك القوانين التى تحيط بالانسان • ومن ثم فان الاطفال يحبون الالغاز ومثلهم البدائيون • ولهذا كذلك فاننا نجد الانواع الادبية الشعبية مثل الاسطورة والحكايات الشعبية والحكايات الخرافية تتضمن الالغاز • فاللغز يشير الى غموض الحياة ، وهو فى الوقت نفسه يمثل ادراك العقل البكر (١) » •

حقا ان تعليل بلوم فيلد لنشأة اللغز مقبول ، ولكنه تعليل شامل ينطبق على نشأة كل الانواع الادبية الشعبية ولا يقتصر على اللغز

---

(١) Standard Dictionary of Folklore, Mythology and Legend , Vol. II. p. 939.

وحده • هذا فضلا عن أنه لم يوضح لنا سبب نشأة اللغز فى صورة سؤال محير وجواب محدد • واذا كان هدفنا الوصول الى تفسير مقنع لذلك ، فلابد من الرجوع بالتراث الشعبى الى الوراء ، حينما كان اللغز يلعب دورا مهما فى حياة البدائيين لا يقل عن دور الطقوس • وفى هذا يسعفنا جميس فريزر فى بحثه الخالد « الغصن الذهبى » •

فهو يذكر أنه كان من عادة قبيلة من قبائل البانتو أن ترقص النساء عرايا فى احتفالات سقوط الامطار ، وهن يغنين : اسقطى أيتها الامطار • فاذا اقترب شخص من المكان ضربته النساء وطرحن عليه الالغاز لحلها (١) •

كما يحكى فى مكان آخر أن بعض قبائل الهند الصينية تجتمع قبل موسم حصاد الارز ويطرح بعض الافراد الالغاز لحلها • وعند حل كل لغز يصيح الجميع « دع أرزنا ينمو فى الجبال والسهول » (٢) على أنه يمتنع طرح الالغاز للحل فى الفترة بين انتهاء موسم الحصاد وميعاد الزرع الثانى •

ويعلق فريزر على ذلك بأن هذه القبائل كانت تعد اللغز لسبب من الاسباب بمثابة تعويذة يعود من ورائها الخير • على أنه يعود بعد ذلك فيقر بحيرته وعدم مقدرته على حل لغز اللغز ، فيقول « : ان عادة طرح الالغاز فى مواسم معينة أو فى مناسبات محددة عادة غريبة حقا • وهى عادة لم تفسر بعد فيما أعلم • ولكنه مع ذلك يقترح تفسيرا لها كأن يكون الالغاز فى أصلها عوضا عن الكلمات المباشرة • فمن عادة بعض القبائل كما يقول على سبيل المثال ، أنها تطرح الالغاز قبل أن يكفن الميت باعتبارها وسيلة لخداع الروح حتى لا تهرب • وهو يشير الى أن هذه العادة ما تزال موجودة فى بريطانيا ، اذ يظل الرجال المسنون فى الجبانة يطرحون الالغاز قبل دفن الميت (٣) •

---

(١) James Frazer : The golden Bough. Vol. III. p. 154.

(٢) المرجع السابق ج ٧ ص ١٩٤

(٣) المرجع السابق ج ٧ ص ٢٢١ ، ٢٢٢

كل هذا يذكره فريزر . ومع ذلك فقد أعلن عجزه عن تقديم تفسير موحد واضح لظهور اللغز فى مثل هذه المناسبات . واذا نحن تأملنا هذه المناسبات التى كانت تطرح فيها الالغاز فاننا نلاحظ أنها اما مناسبات يخشى فيها من حدوث أزمة ، كأن يقف الزرع عن النمو ، أو أنها مناسبات يكون فيها مصير الفرد أو الشعب كله معلقا . فسقوط الامطار ونمو النبات والحصاد والختان والزواج والدفن ، كلها مناسبات كانت تطرح فيها الالغاز . ولابد أن الشعوب كانت تتساءل : هل يسقط المطر المبارك فينمو النبات ، أم هل يحدث جدب ومجاعة نتيجة عدم سقوطه ؟ وهل تهب العاصفة فى أوان الحصاد فتطيح بالمحصول أم أن الجو سيظل معتدلا حتى يتم الحصاد ؟ وهل يسكن الروح الشرير الصبى وقت ختانه فيفسد الجرح ويصاب الصبى بضرر ، أم يلتئم جرحه ويعافى سريعا ويدخل فى مرحلة الرجولة ؟ وهل ينجح الزوجان فى حياتهما الزوجية وينجبان الاطفال ويعيش معهما الروح الخير ، أم أن الروح الشرير سيعيث بينهما فسادا فتفسد حياتهما الزوجية ؟ كل هذه الامور كان الانسان البدائى يتساءل عنها . وكم كان يتمنى لو أن مصير الامور تقرر بالايجاب فترتاح نفسه . وربما كان اللغز فى هذه الحالة مشاركا لشعورهم من حيث انه يشترك مع هذه المناسبات فى ظاهرة الغموض . فاذا توصل السامع الى حل الالغاز ، فان هذا الحل يكون ممتلكا لقدر من السحر من شأنه أن يؤثر فى القوى المجهولة التى تتصرف فى حل المشكلات الغامضة .

وربما بدا لنا أن هذا المسلك من قبل البدائيين ليس سوى تطير وخرافة . ولكننا اذا عرفنا أن عادة طرح الالغاز أمام الزوجين فى أثناء الاحتفال بعرسهما ما تزال تعيش بين بعض الشعوب ، فربما دفعنا هذا الى الكشف عن دلالة اللغز ، وعن الاهتمام الروحى الذى دعا الى خلقه منذ بادىء الامر . وربما كانت ألغاز الزواج خير نموذج يعيننا على الكشف عن هذه الدلالة . فقد يؤدى الوصول الى حل اللغز الى تفاؤل الزوجين بأن هذا سيكون سبيلهما فى حل نواحى الغموض التى ستتكشف عنها حياتهما الزوجية . وبأنها سوف يؤديان مهمة الزواج فى

نجاح تام • ومن ثم لم يكن حل اللغز سوى بداية طيبة لاداء هـذه المهمة •

وربما نتساءل بعد ذلك : لماذا لم يؤد البدائى نوعا من الطقوس فى فى هذه المناسبات كما كان يؤديها فى مناسبات أخرى وذلك بدلا مـن طرح الالغاز ؟ ونحن نجيب عن ذلك بأن البدائى فى مثل هذه المناسبات التى كانت تبدو له لغزا يود لو تكشف له ، كان فى حاجة الى سـحر مشارك لشعوره • والطقوس وان كانت تعد كذلك نوعا من السحر ، الا أنها كانت تؤدى بوصفها وسيلة للتقرب من الآلهة الخيرة ، وليست سحرا مشاركا لشعور الناس • فالطقوس اما أن تؤدى مهمتها فيعـم الخير ، أو أنها لا تؤدى هذه المهمة فى حالة غضب الآلهة كما يتصور البدائيون ، فيعم الشر • وعلى ذلك فالطقوس وظيفة تؤدى لغـرض قد يتحقق وقد لا يتحقق • أما اللغز فهو بما له من طابع محير ، انما يشترك مع ما فى نفوس البدائيين من احساس بالحيرة والقلق ، كما أن الوصول الى حله انما يعنى وضع حد لهذا الموقف المحير •

على أننا لا نستطيع أن نجزم بأن هذا هو التفسير الوحيد للغز اذا تصفحنا الالغاز المشهورة التى وردت لنا مع التراث الشعبى • فمن بين الالغاز الشهيرة التى وصلت الينا مع التراث الشعبى العالمى ، تلك الالغاز التى طرحتها بلقيس ملكة سبأ على النبى سليمان لكى تختبر ذكاءه • فقد اشتهر النبى سليمان بذكائه وحكمته ، ووصل ذلك الى علم الملكة بلقيس ، ولكنها لم تكتف بسماع هذه الاخبار ، وانما أرادت أن تختبر ذكاء الملك بنفسها • فرحلت اليه وطرحت أمامه عدة ألغـاز أوردها فريزر فى كتابه « الفولكلور فى العهد القديم » (١) • لقـد سألته : « ما معنى أن سبعة وجدوا مخرجا وتسعة وجدوا مدخـلا ، واثنين انسياب منهما مجرى وواحدا شرب من هذا المجرى ؟ » فأجاب سليمان على التو : « أما السبعة فهم سبعة أيام الحيض • وأما التسعة فهم تسعة شهور الحمل ، وأما الاثنان فهما الثديان ؛ وأما الواحد فهو

James Frazer : Folklore in the old Testment ; Vol. II. p. 564-565. (London 1918).

الطفل » فسألته مرة أخرى عن الارض التى لم تر الشمس سوى مرة واحدة • فأجابها : « انها الارض التى تجمعت فيها المياه بعد الخليقة ، وهى الارض التى انحسرت عنها مياه البحر الاحمر ذات يوم حينما انشطر الى شطرين ثم عاد بعد ذلك الى حالته الاولى » • ثم سألته : « ما هو الشىء الذى لا يسير حينما يكون حيا ، حتى اذا مات تحرك ؟ » فأجاب : « انه الشجرة التى لا تسير وهى حية • فاذا قطعت وصنعت منها السفينة سارت فى عرض البحر » • ثم سألته : « ما هو الشىء الذى يعيش فى باطن الارض ويكون غذاؤه التراب ويتفجر كالمياه ويضىء البيوت » • فأجابها الملك بأنه النفط •

ولم تكتفى بلقيس بذلك ، ولكنها عرضت على النبى سليمان مشكلة فى شكل لغز وطلبت منه أن يحلها • فقد أحضرت أمامه مجموعة من الرجال والنساء متنكرين فى هيئة واحدة وفى زى واحد ، وطلبت منه أن يميز بين النساء والرجال • فأمر الملك سليمان عبيده أن يحضروا الجوز المشوى والذرة المشوى ويطرحوها أمام الجميع • ثم طلب من خليط الرجال والنساء أن يمدوا أيديهم ليتناولوا من هذا الطعام • فمد الرجال أيديهم دون أن يستحوا من ظهور أذرعهم ، فى حين أن النساء كن يحاولن اخفاء أذرعهن • وعند ذلك ميز سليمان بين الرجال والنساء •

وهنا امتلأت بلقيس بالاعجاب من الملك سليمان وقالت له : « انك تفوق فى الحكمة والنبوة أضعاف ما كنت أسمعه عنك » •

ولا يقل لغز أوديب شهرة عن ألغاز الملكة بلقيس • فقد كان أوديب يتربى فى حضن الملك بوليبوس وزوجته ميروبى بعد أن أبعده أبوه الحقيقى لايوس عنه وهو طفل صغير اثر نبوءة أطلعته على أن طفله سيقتله عندما يكبر ويتزوج أمه جوكاستا • ووصلت هذه النبوءة الى علم أوديب لما شب عن الطوق • ولما كان أوديب لا يعرف له أبا سوى بوليبوس وأما سوى ميروبى ، فقد قرر أن يفر هاربا من بلاطهما الى مدينة طيبة • وكانت المدينة قد ابتليت بوحش فظيع ظل يطرح على أهلها لغزا محيرا وهو : ما الكائن الذى يمشى فى الصباح على أربع أرجل ، وفى الظهيرة على رجلين ، وفى المساء على ثلاث أرجل • وكان كل من فشل فى حل هذا

اللغز يتعرض للموت ، حتى جاء أوديب وحل اللغز بأنه الانسان ، وأنقذ بذلك أهل المدينة ، وأصبح بناء على ذلك ملكا مكان الملك المتوفى أى مكان أبيـــه .

ثم هناك اللغز الذى طرح على الاسكندر الاكبر ، وهو ما سبق أن اشرنا اليه فى الروايات التى حكت عن الاسكندر ومنها العربية ، ونود أن نعيد ذكره فى هذا المجال . فحينما وصل الاسكندر الى نهاية العالم الارضى ، ووقفت أمامه الحواجز حائلا دون اقتحام العالم السماوى ، ظهر شخص مجهول ذكرته الروايات العربية على انه اسرافيل ، وقـــدم للاسكندر الاكبر حجرا صغيرا فى حجم العين وقال له : « خذه فان فيه علما كثيرا » . فأخذ الاسكندر الحجر وعجز عن الوصول الى حل لغزه حتى هداه الخضر عليه السلام الى الحل ، كما تذكر بعض الروايات . فأخذ الخضر الحجر ووضعه فى كفة ميزان ووضع فى الكفة الاخرى أكبر الاحجار ثقلا ، لكن كفة الحجر الصغير كانت ترجح دائما . فلما وضـــع فى الكفة الاخرى حفنة صغيرة من التراب ، رجحت كفة التراب رغـــم خفتها . وعندئذ شرح الخضر حل اللغز للاسكندر ، وأخبره بأن هـــذا الحجر يمثل عينه التى لا تشبع ، وليس فى وسع شىء أن يضع حـــدا لنهمها سوى حفنة من التراب الذى يغطيها حينما يموت الانسان .

ولعل المثالين السابقين يطلعاننا على مقدار ما كان للغز من تأثير فى الاوساط الشعبية الى درجة أنه لم يعد يروى مفردا فحسب ، وانما داخل الحكايات الشعبية والخرافية ولعب دورا كبيرا فيها . وفى هـــذه الحالة لا يروى اللغز بوصفه سؤالا محيرا يتطلب اجابة صائبة يعرفها السائل من قبل . وانما يكون كذلك فى صورة مسألة محيرة تتطلب التفسير كما هو الحال فى اللغز الذى طرح على الاسكندر الاكبر . وقد روى العرب كثير من حكايات الالغاز ، ونشير فى ذلك على سبيل المثال الى حكاية اللغز التى رويت فى أول سيرة عنترة (١) . فالسيرة تحـــكى أن أبناء نزار بن معد بن عدنان الاربعة وهم اياد وربيعة ومضر وأنمار ،

---

(١) سيرة عنترة : الجزء الأول ص ٥٣ وما بعدها (الطبعة الحجازية) .

اختلفوا فيما بينهم بسبب وصية تركها أبوهم لهم بشأن الميراث • وعند ذلك قصدوا الملك الأفعى الجرهمى لكى يحكم بينهم • وفيما هم فى الطريق مروا بوادى السمعمع ورأوا فيه على البعد بعيرا • فقال ربيعة ان الجمل أهوج • وقال مضر انه أعور ، وقال أنمار انه أزور ، وقال اياد انه أبتر • فلما خرجوا من الوادى لقيهم أعرابى وسألهم أن كان رأوا فى الطريق جملا • فذكروا له الاوصاف السابقة ، وأضاف أنمار أن حمل الجمل عسل ودقيق • وعند ذلك لم يشك الرجل فى أنهم سرقوا جمله . فلم يفعلوا شيئا سوى أن اصطحبوه الى الملك الافعى •

واستقبلهم الملك ورحب بهم وأولم لهم ، وكان من جملة الطعام خروف مشوى ، وخبز أبيض نقى ، وخمر صاف ، فأكلوا وشربوا • وكان الملك قد جعل عندهم جارية تسمع كل ما يقولون وتنقله بنصه اليه • وحين لعبت الخمر برءوسهم ، قال ربيعة : ما أطيب هذا اللحم لولا أن الخروف قد رضع من كلبة • وقال مضر : ما أطيب هذا الخمر لولا أن كرمه مغروس بجانب جبانة • وقال اياد : ما أطيب هذا الخبز لولا أن عاجنته كانت حائضا • وقال أنمار : ان صاحب هذا الزاد ينسب الى غير أبيه •

والى هنا تبدو المسألة محيرة للغاية بالنسبة لصاحب الجمل الضائع وبالنسبة للملك الجرهمى معا ، بحيث ملأهما الشغف للوصول الى تفسير أو حل لقولهم الشبيه باللغز •

فلما نقلت الجارية الحديث الى الملك أحضرهم عنده ومعه صاحب الجمل وسألهم عما يريده الرجل منهم • فقصوا عليه القصة ، وفسر كل منهم الصفة التى توقعها فى الجمل • فقرر مضر أن الجمل لابد أن يكون أعور لأن البعير السالم العينين اذا أكل من النبات أكل من الجهتين وهذا أكله من جهة واحدة • وقرر أنمار أن الجمل أزور لأنه وجد مكان أكله متعفشا • وقرر ربيعة أن الجمل أهوج لأن البعير اذا مشى ينقل يدا بعد يد ورجلا بعد رجل فيبقى مشيه متتابعا مستقيما • أما هذا الجمل فان أثر مشيه كان مختلفا • وقرر اياد ان الجمل أبتر لأن الجمل اذا أراث يحرك ذيله على أوراكه فيفرد روثه ، وهذا الجمل روثه كتل •

ثم عاد أنمار فقرر أن حمل الجمل عسل ودقيق لأنه رأى الذباب يعف من جانب والدقيق من الجانب الآخر • وبهذا ثبت للملك أنهم لم يأخذوا جمل الأعرابى • وعند ذلك عاد فسألهم أن يفسروا له حديثهم بعد الطعام • فقال اياد ان عاجنة الخبز كانت حائضا لأن المرأة الحائض اذا عجنت العجين يصير الخبز يتقطع ، كالخبز الذى أكلوا منه • وقال ربيعة ان الخروف رضع من كلبة لأن سائر الحيوانات شحومها فوق لحومها الا الكلاب فان لحومها فوق شحومها • وكان شحم الخروف الذى أكلوه تحت لحمه • وقال مضر ان الكرم الذى شربوا من خمره مغروس بجانب جبانة لأنه حين شربها حصل له منها كسل وفتور وذكرته بالموت والبعث • أما أنمار فقد قرر أن الملك لا ينسب الى أبيه لأن الرجل اذا لم يجلس مع ضيوفه يحادثهم ويمازحهم يكون منسوبا الى غير أبيه وهذا ما حدث من الملك الأفعى •

وتمضى الحكاية فتحكى أن الملك ذهب ليتقصى حقيقة الخبز واللحم والشراب • ويتأكد أن أبناء نزار صدقوا فيما قالوا ، وتبقى مشكلة نسبه ؛ فيدخل على أمه مستلا سيفه ويعرف منها الحقيقة ؛ وهى أن أباه كان عقيما ؛ ولما خشيت أن يخرج الملك من أيديهم واقعت أحد الغلمان وحملت منه •

وبهذا يتكشف اللغز المحير أو بالاحرى هذه الالغاز •وتد يد على هذه الحكاية بالذات بأنها لاتحكى لغزا وانما تشير الى نوع من الفراسة• ونحن وان كنا متفقين مع هذا الرأى ؛ الا أننا نضيف الى ذلك أن طريقة الكشف عن هذه الفراسة قد رويت فى شكل لغز أو ألغاز • فاذا كان اللغز يتطلب سائلا ومسئولا ، فان هاتين الشخصيتين قد وجدتا بالفعل فى الحكاية • ولم يكن السائل سوى هؤلاء الاعراب كما أن المسئول لم يكن سوى الملك والرجل • ولكن لما فشل كل من الرجل والملك فى الوصول الى حل ألغاز الاعراب أى ألغاز المتسائلين ؛ فقد طلبا منهم شرحها كما قد يحدث مع اللغز الحقيقى فى بعض الاحيان •

على أن تأثير اللغز فى الحكاية الخرافية والشعبية لم يقف عند هذا الحد ، فهناك حكايات خرافية وشعبية اتخذت شكل اللغز بوصفها

كلا • وقد سميت هذه الحكايات بحكايات الالغاز • وقد أغرم الهنود بصفة خاصة برواية مثل هذه الحكايات • فهم يحكون على سبيل المثال أن رجلا نحت تمثالا لفتاة فى شجرة ، وجاء شخص ثان وزين الفتاة ثم جاء ثالث وأعطاها ملامح مميزة ، وأخيرا جاء رابع ونفخ فيها الحياة• فالى من من هؤلاء تنتمى الفتاة ؟ هـكذا سـأل الملك أميرة لم يسـبق لأحد أن جعلها تنطق بكلمة • وقد سبق لهذا الملك أن أمر بقتل الذين عجزوا عن الاجابة • ولكن الفتاة التى كانت تستمع الى الاجابات غير الموفقة خرجت عن صمتها وقالت : ان الشخص الذى نحتها هو أبوها ، والذى زينها هو أمها ، والذى أعطاها ملامح مميزة هو معلمها ، والذى نفخ فيها الروح هو زوجها • وبهذا أطلعت الفتاة الملك على مقدار علمها وفراستها ، فما كان منه الا أن اتخذها زوجة له (١) •

ومثال ذلك حكاية « لغز الحجرة المحرمة » • فقد اشتهر عن رجل صاحب لحية زرقاء أنه يقتل كل امرأة يتزوج بها • وعجز الناس عن فهم هذا اللغز الذى يكتنف حياته • على أنه لم يكن فى استطاعة أهل البـلد أن يمنعوه من الزواج من بناتهم حيث أنه كان صاحب نفوذ • وأخـيرا استطاع الرجل أن يتزوج امرأة أخـرى وفر لها كل أسباب الراحـة والهناء • على أنه فى الوقت نفسه سلم لها مفتاح حجرة واحدة فى البيت الذى تسكنه وطلب منها ألا تفتحها • ثم سافر الرجل فى مهمة • وهنـا أدركت الزوجة أنها قد وضعت يدها على لغز هذا الرجل ، وساورتها نفسها أن تصل الى حل هذا اللغز فى أثناء غياب زوجها • ففتحت الحجرة ولكنها فوجئت بظلام مروع لم يمكنها من رؤية شىء • وذعرت المرأة وأغلقت الحجرة ، وسقط المفتاح فى لهفتها على الارض • فلما تناولته أبصرت عليه بقعة من الدم • فلما حاولت ازالتها لم تتمكن من ذلك رغم استخدامها لكافة الوسائل • وهنا انتابها الذعر حتى قدم زوجها واكتشف جرمها • فلم يكن مصيرها سوى مصير هؤلاء اللاتى سبق أن تزوج بهن •

وهنا نلاحظ أن لغز الحجرة المحرمة لم يكن يعرفه سوى صاحبـه • وقد تبين أن فتح الحجرة لم يكن سوى وسيلة حمقاء للوصول الى حل هذا اللغز • أى أنه كان يتحتم على الزوجات أن يحاولن اكتشاف هذا اللغز بطريقة أكثر ذكاء وأعمق ادراكا • ولا يعنى الظلام الذى فوجئت

---

(١) الحكاية الخرافية ص ١٧٧ •

به كل منهن سوى أن اللغز لم يزل غامضا ، كما أن المفتاح ليس سوى رمز لاثارة الشغف للوصول الى حل هذا اللغز .

وربما كانت الحكاية الشعبية الشهيرة التى مطلعها : هنا مقص ، وهنا مقص ، قد اتخذت طابع اللغز الى حد بعيد . والحكاية نصها :

هينا مقص . وهينا مقص .. هينا عرايس بتترص
هينا بنت حجازية شعرها خاني ضاني
لفيتو على حصاني وحصاني فى الخزانة
والخزانة عايزة سلم والسلم عند النجار
والنجار عايز مسمار والمسمار عند الحداد
والحداد عايز بيضة والبيضة عند الفرخة
والفرخة عايزة قمحة والقمحة عند التاجر
والتاجر عايز فلوس والفلوس عند الصراف
والصراف عايز لبن واللبن عند البقرة
والبقرة عايزة برسيم والبرسيم فى الجبل
والجبل عايز عصافير والعصافير فى الجنة
والجنة عايزة حنة والحنة فى ايديهم
يا للا ندور عليهم

وقد رويت هذه الحكاية بمطلع آخر هو : أحدتك حدوتة ، بالزيت ملتوتة ، حلفت ما كلها حتى ييجى تاجرها . تاجرها فوق السطوح . والسطوح من غير سلم والسلم عند النجار ... الخ .

والحكاية تكون لغزا محيرا من مطلعها حتى نهايتها . ونحن لانستبعد اذا قلنا ان أحدا لا يدرك تفسيرها تماما سوى قائلها الاول . وقد حاول البعض تفسير لغزها كل حسب فهمه لها . فالاستاذ احمد امين يقول : « وهى حدودتة لطيفة تدل على مبلغ اتصال الاعمال بعضها ببعض (١) » . ثم يقول : « وقد سمعها رجل صوفى فشرحها شرحا صوفيا ، فقال : احدتك حدوتة بالزيت ملتوته . يعنى السر الالهى ، حلفت ما كلها ، أى أتناولها فان القصد لا يتم الا بالوسيلة . حتى ييجى تاجرها ، المراد به المرشد الكامل ، والمربى الواصل . والتاجر

---

١ احمد امين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ص ١٥٨

فوق السطوح ، لا يذهب ولا يروح ، بل اليه يراح ، وبه تنتعش الارواح • والسطوح عاوز سلم ، يتوصل به اليها ،حيث أن المدار عليه • والسلم عند النجار ، وهو ، الاستاذ الكامل والمسلك الواصل • والنجار عايز مسمار أثبت به سلم القرب والوصول • والمسمار عند الحداد ، صانعه المخصوص به • والحداد عاوز بيضة ، اذا لايكون شيء بلا شيء •••• الخ (١) •

وكل هذه التفسيرات ان دلت على شيء ، فانما تدل على أن الحكاية لغز محير يحتاج الى حل •

ثم تعاقبت العصور والأجيال ونسى الباعث الأول على خلق اللغز ، فلم يستخدم بوصفه وسيلة سحرية تكشف عن موقف غامض كما هو الحال فى ألغاز البدائيين ، كما أنه لم يعد يعبر عن مفهومات عميقة بعيدة عن ادراك الانسان العادى ، وعن الحكمة التى يمتلكها بعض الأفراد ، وانما أصبح مجرد باب طريف من أبواب السمر • فعندما تسمر الجماعة ، يتبادلون الألغاز والفوازير مثل فزورة الكتابة « قد السمسمة وتجيب الخيل ملجمة » ولغز البيض : « طبق رخام عليه زعفران حلف ما يتآكل الا بالكلام » أو لغز الترمسة« جيت أكلها قلعت قميصها » •

كما أن الألغاز أصبحت تستخدم فى الكشف عن غباء الانسان العادى بقصد خلق جو من السخرية والمرح • فالسائل يحكى أن نابليون جاء الى مصر وهو يرتدى « حمالة » لسروالة تنقسم الى ثلاثة ألوان : أبيض وأصفر وأخضر • ثم يسأل السائل بعد ذلك عن سبب هذا • وهنا نلاحظ أن السامع يركز تفكيره على هذه الألوان الثلاثة وما يمكن أن تحمل من معنى ومدى ارتباطها بحملة نابليون على مصر بالذات ، فاذا الجواب يقول بعد ذلك : ان نابليون ارتدى هذه الحمالة لكى يرفع سرواله • أو قد يسأل سائل عن السبب الذى من أجله يعيش السمك بكثرة تحت الكبارى ، وهنا يتجه المسئول الى ما يحفظه فى ادراكه الساذج عن سبب احتمال وجود السمك تحت الكبارى • ولكن الاجابة

(١) المرجع السابق • نفس الصفحة

التى يتوقعها كل انسان لا يمكن أن تكون اجابة مباشرة عن اللغز ، بل لابد أن تكون الاجابة الصحيحة غير متوقعة • أما جـواب هذا اللغز فيقول : أن السمك يعيش بكثرة تحت الكبارى حتى يتقى المطر • ولعل هذين اللغزين يشيران فى وضوح الى ما ذكرناه ، وهو أن اللغز أصبح وسيلة للتسلية والترفيه شأنه شأن النكتة . وان اختلفا فى بواعثهما كل الاختلاف •

كما نشأ عن اللغز الشعبى اللغز اللغوى • وقد أتى الابشيهى فى كتابه المستطرف بمجموعة من هذه الألغاز نسوق بعضها :

احرقه الله بنصف أســـــمه وصير الباقى صراخـا عليـه

وهو نفطوية •

أسم من قد هويتـــــــه ظاهر فى صروفـــــــه
فاذا زال ربعـــــــه زال باقى حروفـــــــه

الغزال •

ومسرعة فى سـيرها طـــول دهـــرها
تراهـا مـــدى الأيـــام تمشى ولا تتعب
وفى ســيرها ما تقطـع الأكل ســـــاعة
وتأكل مـــع طـــول المـــدى لا تشرب
وما قطعـت فى الســـير خمســـة أذرع
ولا ثلث ثمـــن مـــن ذراع وأقـــرب

الطاحونة •

وذى أوجـــــه لكنـــــه غير بائـــح
بسر وذو الوجهـــين للسر يظهـــــر
تناجيـــك بالأسرار أسرار وجهـــــه
فتســـمعها بالعـــين ما دمـــت تبصر

الكتاب •

وجاريـــة لـــولا الحوافـــز ما جـــرت
أشاهدها تجرى وليس لهـا رجـــــل

وترضع أطفـــالا ولا هى أمهـــــــم
وليس لهـا ثدى وليس لهـا بعـــــــلٌ
الســاقية •

وما أخت يجامعهـــــــا أخـــــوها
وفى أعناقهـــــــم ذاك النـــــكاح
الزر والعروة •

قل لى فما شىء يـــرى ناعمـــــــا
منتصب القامة طـــول الزمـــــــان
أطـول من شبر لـه حـــــــــزة
مفيشل الرأس قـــوى الجنـــــــان
يسمع فى القعـــــر لـــه رنـــــة
ويظهر الصفق بأعلى المكـــــــان (١)
-يد الهاون •

على أن اللغز أوشك أن يختفى مع عصر الحضارة والمدنية الـذى نعيشه • ولم يختف اللغز وحده ولكن المقدرة على حل اللغز أوشكت كذلك على الاختفاء •• لقد نسى فى زحمة المدينة وزحمة متطلباتها ، أن اللغز وسيلة أساسية للتربية • ذلك لأنه يعلم الاطفال والكبار معـا كيف ينظرون الى المشكلة من كل جوانبها ثم يحتفظون بعـد الكـد والتفكير بحس فكاهى •

على أن اللغز القديم لم ينس . فما زلنا نذكر لغز أبى الهول ولغز الاسكندر الأكبر وألغاز بلقيس • وكما استغل الأدباء الاسطورة فى أعمالهم الفنية ، كذلك استغلوا حكايات الألغاز فى صياغتها صـياغة فنية ، وفى تضمينها فكرة انسانية ذاتية • وسوف نشير الى نموذج من هذه الألغاز الفنية فى نهاية هذا البحث •

على أننا بعد أن عرضنا لتطور اللغز منذ العصر البـدائى حتى عصرنا الحاضر نعود الى سؤالنا الأول وهو الباعث على خلق اللغـز •

(١ الابشيهى : المستطرف فى كل فن مستظرف ج ٢ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ (المكتبة التجارية) .

لقد سبق أن قدمنا تفسيرا يختص بألغاز البدائيين ، وهو أن اللغز كان يطرح فى مواقف معينة يشعر فيها الانسان بأنه ازاء أزمة تتعلق بمصيره ، ويود لو تكشفت له عن حل يريحه • ثم قلنا ان اللغز الذى يتمثل فى شكل سؤال غامض يتطلب الاجابة عنه ، انما هو شبيه بحالة الغموض التى يعيشها الانسان ، تلك الحالة التى يود لو اتضحت له • فاذا عثر المسئول على اجابة صحيحة للغز المطروح عليه فانه يشعر فى الحال بأنه قد استبان مصيرة ازاء المشكلة التى تشغله نفسيا •

على أننا نرجع فنتساءل : اذا كان السائل الذى يطرح اللغز انما يعرف حله من قبل ، فلماذا يمتحن غيره فى معرفة حله ؟ هذا ما نحاول أن نجيب عنه ، مقتفين فكرة اللغز من أساسها •

فاللغز يتم عن طريق سؤال وجواب • وقد سبق لنا أن عرفنا أن هناك شكلا أدبيا شعبيا آخر يتم عن طريق السؤال والجواب ، هو « الأسطورة الكونية » • وعلى ذلك فهناك على الأقل علاقة ظاهرية بين النوعين •فالانسان فى الأسطورة الكونية يسأل الكون عن خالقه ، وعن سر ظواهره المختلفة التى تبدو رائعة فى بعض الأحيان ، ومخيفة حقا — فى أحيان أخرى • فاذا أجاب الانسان عن تساؤله ، فان جوابه يتخذ شكل حكاية معللة لتلك الظواهر ، وهو ما نطلق عليه « الأسطورة الكونية » •

فالأسطورة الكونية تنشأ اذن عن احساس بصلة مجهولة بين الانسان والكون • واذا اهتدى الانسان الى توضيح هذه الصلة لنفسه ، فانه يكون قد اهتدى الى تفسير يؤمن به ، ومن ثم فهو يحييه فى شكل طقوس • ثم ما تلبث هذه الطقوس أن تنسى وتبقى حكايتها •

فاذا حكى الانسان عن اله النور واله الظلام وصراعهما الدائب معا ، فليس هذا سوى نتيجة تعجبه وتساؤله عن سر ظاهرة النور والظلام • على أن هذا لا يعنى أن السؤال عن الأسطورة الكونية يكون ماثلا أمامنا ، وانما يكون مختفيا وراء الاجابة التى اعتقد الانسان ذات يوم أنها الحقيقة • أما فى حالة اللغز ، فان السؤال يتمثل أمامنا ، وهو

يوجه الينا ، ولا نوجهه نحن الى الكون • ذلك أن اللغز لا ينشأ نتيجة تعمق الانسان حقيقة الأشياء • كما أن الاهتداء الى حل اللغز لا يعنى الوصول الى الحقيقة وانما يعنى الوصول الى المعرفة فحسب •

وهناك شيء آخر نذكره فى معرض المقارنة بين النوعين ، هو أن الأسطورة الكونية تمثل الخلق الحر ، أما اللغز فان حريـــة الخلق لا تتوفر فيه • حيث أن الاجابة تكون معروفة من قبل ، وعلى المسئول أن يعانى كثيرا فى سبيل الوصول الى الحل ، وليس عليه أن يســتخدم خياله فى سبيل الخلق الحر •

وعلى ذلك فالصلة التى تتمثل بين الأسطورة واللغـــز ، هى أن الأسطورة تعد جوابا عن سؤال ، وبالمثل ينتهى اللغز بجواب أو حل ، والا فانه لا يعد لغزا • كما أن النوعين يطلعان الانسان على نوع مـــن المعرفة التى تصل فى الأسطورة الكونية الى حد المعرفة العقيدية ، وفى اللغز الى ابحث عن حقائق الأشياء •

واذا كان اللغز يختلف فى باعثه • وبالتالى فى شكله • عن الأسطورة الكونية ، فما الباعث اذن على خلق اللغز ؟ وبعبارة أخرى ما الاهتمام الروحى الشعبى الذى ينشأ عنه اللغز ؟ لنحاول أن نمسك الخيط مـــن أوله • فنفهم اللغز فى صورته البسيطة ، فاللغز يتطلب سائلا ومسئولا ، والسائل الذى يطرح اللغز يكون عارفا بالاجابة • كما أن المسئول يكون على يقين بأن سائله يعرف الاجابة • ومع ذلك فان السائل لا ينطـــق بالاجابة عن السؤال الا بعد أن يبذل فى ذلك جهدا كبيرا • أما اذا عثر على الحل الصحيح فانه يشعر ـــ ولا شك ـــ بحالة اقتناع ، وبثقة فى نفسه • لا لأنه توصل الى معرفة شيء يجهله فحسب ، ولكن لأنه أصبح كذلك فى درجة ممتحنه من المعرفة • ذلك أن هناك من يختبره فى معرفته ، وهو يود أن يبرهن له على مقدرته فى ذلك •

هذا هو الباعث الرئيسى الـــذى يقف وراء خلـــق اللغـــز ، وهو اختبار المسئول فى درجة معرفته • ولكى يمكننا أن نتمثـــل ذلك كل التمثيل ، علينا أن نستشهد ببعض الألغاز التى وردت الينا مع التراث

الشعبى بصفة عامة • واذا ما تصفحنا هذا التراث وجدنا أن اللغز قد ورد فيه بصور مختلفة ؛ فقد يكون اللغز امتحانا قاسيا ، ينتهى بالحياة أو الموت ، أى أن الشخص المسئول قد ينجح فى الوصول الى الحل الصحيح فيمنح الحياة مع الجزاء الطيب ، أو أنه يفشل فى الوصول الى الحل فيقتل • ومثال ذلك « لغز أبى الهول » الذى يرد فى ثنايا أسطورة الملك أوديب •

وهناك نوع آخر من الألغاز هى تلك الألغاز البسيطة التى تعيش معنا حتى اليوم ، وقد سبق أن قدمنا نماذج منها • ويمكن أن نطلق على هذه الألغاز اسم « ألغاز المغالطة » • فالمسئول فى هذه الحالة يظل يبحث عن حل يتوقعه فاذا الحل بعيد كل البعد عما كان يتوقعه • وقد ألفنا فى مثل هذه الألغاز — حينما تطرح للحل — أن يوجه للمسئول حينما يعجز عن الحل عبارة « غلب حمارك ؟ » • وأحسب أن هذه العبارة تعنى أنه اذا كان حمارك قد أنهكه التعب فدعه يعش • وبمعنى آخر أنه يتحتم على هذا الشخص الذى عجز عن الوصول الى الحل أن يستسلم ويطلب الأمان • وعلى هذا فالمسئول فى كلا النوعين السابقين يسعى للوصول الى الأمان •

ولعلنا نتأكد من خلال الأمثلة السابقة أن الدافع وراء خلق اللغز هو اختبار شخص ما فى درجة معرفته ، وليس هو الوصول الى حل اللغز فحسب • ذلك أن السائل يكون عارفا بالاجابة الصحيحة ، وليس هناك ما يدعوه لأن يعرف الاجابة مرة أخرى • واذا كنا قد رأينا مدى حرص المسئول على الوصول الى الاجابة الصحيحة ، فاننا نرى كذلك أن حرص السائل على الاستماع الى الاجابة الصحيحة لا يقل عن حرص المسئول فى شىء • وعلى ذلك يمكننا أن نكمل الباعث على خلق اللغز فنقول : ان السائل يمثل جماعة يرتبط بعضها ببعض عن طريق المعرفة والحكمة • أما الشخص المسئول فهو خارج عن نطاق هذه الجماعة ، واللغز فى هذه الحالة يمثل « كلمة السر » التى يسمح عن طريق النطق بها بالدخول فى مجتمع مغلق • واذا شئنا أن نتوسع فى وصف هذه الجماعة فاننا نقول : أنهم جماعة المتضلعين العارفين بأوليات الحياة ،

الحياة • واذا شاء انسان أن يدخل ضمن هذه الجماعة فلابد أن يكون متضلعا عارفا مثلهم ، فهم يفتحون الطريق لسائر البشر عن طريق حل الألغاز للدخول فى زمرتهم •

ويمكننا أن نستشهد فى هذا المجال باللغز الذى طرح على الاسكندر الأكبر فى أثناء تجواله الطويل الشاق فى العالم المجهول •

ولعلنا نذكر فى هذا المثال أن الشخص الذى طرح اللغز على الاسكندر شخص غير عادى ، فهو يمثل طائفة اختصت بالمعرفة والحكمة، كما أننا نلاحظ أن الاسكندر الأكبر عجز عن الوصول الى حل هذا اللغز • ومعنى هذا أنه أثبت عدم كفاءته لأن يدخل فى زمرة هؤلاء العارفين الحكماء ، فى حين أن الخضر عليه السلام قد توصل الى معرفة الحل ، فكان ذلك تأكيد لعلو مستواه فى المعرفة والحكمة •

وبعد ذلك نحاول أن نتحدث عن موضوع اللغز بصفة عامة • واذا نحن دققنا النظر فى الألغاز السابقة ، فاننا نلاحظ أنها تتعرض جميعا لكشف ظواهر غريبة فى الحياة ، فلغز أبى الهول يكشف عن غرابة أطوار هذا الانسان الذى يكون فى بادىء الأمر طفلا يزحف على يديه ورجليه، ثم يكبر فيستغنى عن يديه ويكتفى بقدميه ، ثم يصير كهلا فيتوكأ على عصا ، تكون له بمثابة الرجل الثالثة • أما اللغز الهندى فهو يصور لنا كيف أن الانسان يتشكل فى الحياة وفقا للظروف التى يعيشها • وقد ساهم ــ كما رأينا ــ أربعة شخوص فى تشكيل حياة الفتاة ، أو بالأحرى أربعة ظروف وأحوال : فالابنة تعيش فى كنف والديها ، وكل منهما يلعب دورا فى حياتها • ثم تخرج الفتاة الى الحياة لتكتسب تجاربها وتعاليمها بمساعدة أفراد غرباء • وبعد ذلك تتزوج فتشكلها الحياة الزوجية بشكل جديد آخر • أما اللغز الثالث وهو اللغز الذى كلف الاسكندر بحلة ، فهو يكشف عن أهم خصائص الانسان فى الحياة الدنيا ، ألا وهى طموحه الذى يبلغ حد الاسراف الى درجة أن هذا الانسان قد يطلب المستحيل • وقد عبرت حكاية الاسكندر عن هذا المعنى فى موضع آخر •• حينما قابل الاسكندر أحد الهنود الحكماء ودار بينهما نقاش طويل حول ماهية الحياة التى تؤدى بالانسان الى الموت لا محالة •

وسأل الحكيم الهندى الاسكندر الأكبر وقال له : اذا كنت تعرف أنك ميت لا محالة ، فلماذا تسرف فى كل هذه الأطماع ؟ ولماذا تسعى الى معرفة المجهول ؟ عندئذ أجاب الاسكندر بأن الانسان عبد لأطماعه ؟ فلولا الرياح ما تحركت مياه البحر •

وقد يبدو اللغز فى بعض الحكايات الخرافية والشعبية فى شكل مسألة محيرة تحتاج الى تفسير يكشف للانسان عن غرابة أمر من أمور هذه الحياة • وقد يكشف له عن غبائه فى فهم ما يبدو بديهيا •

فقد سألت امرأة زوجها قائلة : « فين العقل ؟ » • وفوجىء الزوج بالسؤال ولم يشأ أن يتسرع فى الاجابة ، فتصغر قيمته فى عين زوجته • ولهذا فقد طلب منها مهلة حتى يجيبها اجابة سليمة • ثم خرج الرجل وظل يسير حتى صادف خيمة منصوبة على مشارف البلدة • فقال فى نفسه : ان هذه الخيمة يسكنها جماعة من العرب وهم معروفون بالحكمة وفصل الخطاب • ووقف على الخيمة ينادى فخرجت له فتاة شابة فقال لها : أين أبوك ؟ فقالت : أبويا راح يروى الية بالمية • فلم يفهم الرجل شيئا •فسألها : وأين أخوك ؟ فقالت : وأخويا راح يصيد الهوا م الهوا• ولم يفهم الرجل شيئا كذلك • فسألها : وأين أمك ؟ فقالت : وأمى راحت تكفر بالله • فتعجب الرجل من هذه الأجوبة وقال فى نفسه : جئت لكى أحل لغزا فاذا بى أمام ثلاثة ألغاز أخرى •

وبعد لحظة جاء الأب من بعيد وكان يحمل بطيخا • فرحب به على عادة الأعراب دون أن يعرفه ودعاه للدخول معه فى الخيمة ، واعتذر له بأنه قد تأخر لأنه كان يروى بطيخه فى الحقل بالماء • فعرف الرجل حل اللغز الاول وهو أن الاب كان يروى البطيخ الذى هو ماء ، بالماء • وبعد برهة جاء الابن وكان يحمل غزالا • ثم أخذ يشرح لهم كيف أنه تعب فى صيد الغزال لأنه كان يطير كالهواء • فأدرك الرجل لتوه معنى اللغز الثانى وهو أن الابن كان يصطاد الغزال الذى يطير مثل الهواء من الهواء •

وبعد برهة جاءت الأم وهى تلبس السواد وقد لطخت وجهها

بالطين • فعرف أنها كانت تؤدى واجب العزاء ، ولكنها بفعلها هذا كانت كمن يعترض على أمر الله ، فهى اذن تكفر بقضائه •

وعند ذاك قال الرجل : لم يبق اذن سوى لغزى ••

وبعد أن حيا رب الأسرة الضيف ، ظل ينتظر أن تأتى الابنة بالشاى والقهوة تحية للضيف ولكنها لم تفعل ، اذ كانت تعد العشاء الكامل للضيف •

ولما غابت الابنة وتأخرت عن تقديم واجب الضيافة ، نادى عليها الأب قائلا :

أين يابنتى القهوة ؟ ألا تعرفين واجب الضيافة ؟ أين عقلك ؟

وسعد الرجل بسماع السؤال ، اذ كان هو سؤاله الذى يبحث عن أجابته ، واستعد لسماع الاجابة من الابنة • وهنا ردت الابنة على أبيها قائلة : ياأبتى ان العقل فى الصبر ، اننى اعد الطعام للضيف وهذا يحتاج لبعض الوقت •

وواضح أن هذه الحكاية أساسها طرح سؤال ملغز الى سائل لا يعرف حله • وهذا هو السبب فى أن المسئول رحل يبحث عمن يعرف حل هذا السؤال • وعلى الرغم من أن السؤال قد يبدو سهلا ، فان الرجل فوجىء به من ناحية ، كما أنه تأكد من ناحية أخرى أن الاجابة عنه لا يمكن أن تكون تلك التى تتبادر الى الذهن ، وهى أن العقل فى رأس الانسان • وقد ثبت له حقا أن الاجابة بعيدة كل البعد عما كان يتوقعه، اذ قد علم أن العقل فى الصبر •

وربما كانت العبارات الأخرى الملغزة التى قالتها الفتاة للزوج ، أقرب الى شكل اللغز من السؤال الأول الاساسى • ذلك أن الاستعارة واضحة فيها وهى تعد جزءا أساسيا فى بنية اللغز • ولهذا فانه من الممكن صيغة عبارات الفتاة على نحو مايصاغ اللغز العادى فنتساءل : ما هو الهواء الذى يصطاد من الهواء ؟ أو ، ما هو الماء الذى يروى بالماء ؟

بعد ذلك ننتقل الى مناقشة مسألة أخرى فى اللغز ، وهى شكله • فكيف يتألف اللغز بهذه الصورة الغريبة ولماذا ؟ سبق لنا أن ذكرنا أن اللغز يطرحه شخص يعد فردا من جماعة العارفين الحكماء ، وهو يوجهه على سبيل امتحان شخص آخر ، ليرى ما اذا كان هذا الشخص يفهم لغة هذه الجماعة • ولابد لنا أن نفترض أن كل جماعة تستخدم لغة خاصة بها • فجماعة الصيادين مثلا لهم لغتهم الخاصة ، وكذلك جماعة اللصوص •• الى غير ذلك • وبالمثل تستخدم جماعة الحكماء العارفين لغة تتسم بالغرابة والا كانت ملكا مشاعا للجميع • وعلى ذلك يمكننا أن نقول بادىء ذى بدء : ان اللغز يستخدم اللغة الغريبة فى مقابل استخدام الانسان العادى للغة العادية • ويمكننا أن نوضح ذلك من خلال مثال من الأمثلة التى ذكرناها ، وليكن لغز أبى الهول • فاذا كان هذا اللغز يتساءل عن هذا الكائن الذى يمشى فى الصباح على أربع أرجل وفى الظهيرة على رجلين ، وفى المساء على ثلاث أرجل ، واذا كانت الألفاظ العادية التى يستخدمها اللغز ، وهى الصباح والظهيرة والمساء ، تعنى مفهوما آخر غير المفهوم الذى يعرفه الانسان لهذه الأسماء ، كما أن الرجل تكشف عن معنى أعمق وأكبر غير الذى نعرفه عن مفهوم الرجل ، فاننا ندرك أن اللغز لا يهدف الى ذكر الأشياء بمسمياتها الكلية المصطلح عليها ، وانما يهدف الى الاشارة الى مغزى هذه الأشياء واسى معناها العميق • فأسم الشىء فى اللغز يحتوى على كثير من المعانى ، شأنه شأن الحياة حينما ينظر اليها من الأعماق •

وعلى ذلك يمكننا أن نقول باختصار ان لغة اللغز هى لغة جماعة المتضلعين الحكماء ، وهى تعبر بالتالى عن عالمهم الذى يعيشون فيه • انها تنبع من اللغة العادية ، ولكنها تسمو بها بعد ذلك الى مستوى فنى ، أى الى « التعبير التصويرى » — على حد تعبيرنا الحديث • وهذه اللغة تتصل كل الاتصال بطبيعة اللغز ، فمن خلال هذه اللغة تنبع اللمحات الفنية والمعنوية ، وعن طريقها يكتسب اللغز صفتى الغرابة والمتعة فى آن واحد •

على أن شرحنا للغة اللغز لا يوفى السؤال حقه • ذلك أننا لم نجب

بعد عن سبب اتخاذ اللغز لهذه الوسيلة من التعبير ؛ فليس من الضرورى أن تكون اللغة الغريبة لغزا • فاذا قلنا مثلا : ان الانسان يمشى فى كهولته على ثلاث أرجل ؛ فان هذا يعد لغة غريبة ولكنه ليس بلغز • ولكن التعبير يتخذ شكل لغز حينما نتساءل عن ماهية هذا الكائن الذى يمشى فى المساء على ثلاث أرجل • فما سبب اصطناع اللغز لمثل هذه الوسيلة فى التعبير ؟

اذا كنا قد ذكرنا أن السؤال فى اللغز يوجهه شخص عارف ينتمى جماعة العارفين ؛ وأن هذه الجماعة لها لغتها الخاصة بها ؛ فاننا نستطيع أن نقول أن اختيارها لصيغة اللغز بقصد اختبار شخص غريب فى درجة معرفته يكون عن عمد • فالسؤال البسيط يجيب عنه كل انسان ، ولكن السؤال الذى ينفذ الى داخل الأشياء لا يستطيع أن يجيب عنه سوى الشخص الذى يمتلك وسائل توصله الى المعرفة • وليس عجيبا أن يقف الانسان العادى حائرا أمام اللغز • ذلك لأنه يجد نفسه أمام مسميات لا تحتمل بالنسبة لادراكه سوى معنى واحد ؛ فى حين أن اللغز يستخدمها بوصفها طلاسم تحتوى على معنى خفى • وعلى ذلك يمكننا أن نقول ان اللغز تعبير بلغة خاصة ، وان هذا التعبير يوضع عن عمد فى قالب سؤال معقد •

فنحن عندما نتحقق من الصياغة اللغوية للغز . وليكن اللغز البسيط نجده يتركب من جزئين ، كل جزء يبدو فى حد ذاته تركيب لغوى عادى•

ومثال هذا اللغز التالى : المطرة تمطر ؛ والتل بيعلى •

فهذا اللغز يتكون من جزئين : المطرة تمطر ــ والتل بيعلى •

فالجزء الاول يبدو أنه عبارة اخبارية عادية اذا ما نطق بها منفصلة، وكذلك الجزء الثانى وهو التل بيعلى •

ولكننا عندما نجمع بين الجزئين فى سياق تركيبى واحد ؛ نجد أننا نجمع بين شيئين متعارضين لا يمكن أن يجتمعا • اذ لا يمكن أن تتراكم المطر فى شكل تل مهما بلغت شدتها وهذا هو جوهر التعقيد فى اللغز ؛ أو لنقل ان هذا هو لب اللغز • ذلك أن المسئول ؛ عليه أن يجيب باجابة

تجمع مرة أخرى بين هذين المتعارضين ، وعندئذ يبدو التعارض ممكنا وتكون الاجابة هى عمليه نخل الدقيق من خلال المنخل • فمن الواضح أن الدقيق الذى ينخل ينزل فى شكل المطر • وهو فى نزوله المستمر يصنع تلا من الدقيق •

وينطلق المسئول دائما فى البحث عن حل اللغز من نقطة ادراكه لهذا التعارض ، أى من نقطـــة ادراكه أن المطر ليس مطرا حقيقيـــا ولكنه استعارة لشىء آخر شبيه به • كما أنه يدرك ، فى أثناء البحث عن الحل أن هناك عنصرا ثابتا بين الاستعارة والمجاز وهو الرذاذ الذى يتساقط ، وعنصرا متغيرا بينهما وهو التل الذى يرتفع • وهكذا يجول المسئول بين لغة اللغز ؛ أى تلك الصورة الكلية للغز حتى يصل الى الحل •

وهكذا يمكننا أن نقول أن بنية اللغز تتكون من خمسة أجزاء هى :

١ ــ الاستعارة والمجاز •	المطـــر
٢ ــ العنصر الثابت بينهما •	الرذاذ الذى ينزل فى شكل المطر
٣ ــ العنصر المتغير بينهما •	التل الذى يعلو
٤ ــ الصورة الكلية •	المطرة تنزل والتل يعلى
٥ ــ الاجابة أو الحل •	الدقيق الذى ينزل

وبذلك نكون قد وضحنا ماهية اللغز بجوانبه المتعددة • وقد حرصنا على تقديم نماذج أصلية للغز ، لأن الشكل القديم لأى نوع أدبى شعبى يعيننا على فهم هذا النوع فى شكله المتطور ، كما يعيننا على ادراك بواعثه أكثر مما تعيننا الاشكال الحديثة المتطورة • وليس غريبا أن يبقى اللغز ويتطور وينسى باعثه مع تطور العصور والاجيال •

ان اللغز فى صورته الاولى يعنى الصراع من أجل ازالة الحواجز فى سبيل الوصول الى المعرفة • ويحدث نتيجـــة لذلك تغيير وتبديل لموقف الانسان من الحياة • ومما لا شك فيه أن اللغز الحديث ما يزال يحتفظ بشىء من هذا المفهوم ، وان كان هذا قد غاب عنا • انه نوع أدبى شعبى مميز ، يرد مفردا ، كما يرد فى ثنـــايا الحكايات الخرافية والشعبية والاسطورة ، وفى الملاحم والسير الشعبية •

وهكذا نرى كيف أن الأدب الشعبى ملىء بالأفكار العميقة التى يحاول دائما أن يلبسها شكلا فنيا رائعا • وكل نوع من أنواع هذا الأدب نتناول الحياة من زاوية من زواياها المتعددة • وما أروع الشعوب التى استطاعت أن تعبر عن طلاسم الحياة بطلاسم فنية ، لا تقل عمقا عن طلاسم الحياة ـ بل لا يقل الجهد الذى يبذل فى حلها عن الجهد الذى يبذل فى حل طلاسم الحياة نفسها •

ونحن لا نبالغ اذا قلنا ان الأدب الذاتى قد تأثر باللغز الى حد ما ؛ على الأقل من ناحية الشكل • أليست الرواية البوليسية لغزا تتشعب حلوله حتى يتكشف تماما فى نهاية الرواية ؟ ان الرواية البوليسية تحاول أن تكشف عن جريمة يكتنفها الغموض الى درجة أنها تتخذ صورة لغز محير • ومهمة القاص يتمثل فى الكشف عن عوالم مجهولة ، حتى ينتهى القارىء ـ شيئا فشيئا ـ الى المعرفة اليقينية • والقاص هنا أشبه بالقاضى الذى يحاول ان يقتحم عالم المتهم ، حتى يهتدى الى الحقيقة ؛ أى الى حل لغز المتهم •

وبعد ذلك نقدم نموذجا للغز الفنى الذى استقى الأديب مادته من التراث القديم ، ثم عبر عنه بأسلوبه الذاتى • وهذا النموذج هو حكاية « توراندوت » للشاعر الكاتب شيلر •

وحكاية توراندوت قرأها شيلر عن جوزى Gozzi الكاتب الايطالى الذى ولد عام ١٧٢٠ وتوفى عام ١٨٠٦ • وتوراندوت أو توراندوخت هى بطلة احدى حكايات مجموعة ألف يوم ويوم الفارسية•

وتحكى هذه الحكاية الشعبية أن الأميرة توراندوت قررت ألا تتزوج الا بمن يتمكن من حل الألغاز التى تطرحها عليه • فاذا فشل المسئول فى حلها ؛ كان مصيره القتل • وعلى الرغم من هذا التهديد، فان كثيرا من الأمراء تقدموا لخطبة توراندوت وكان مصيرهم القتل بعد أن فشلوا فى حل الألغاز • حتى تقدم لها فى النهاية أمير شاب ساقه الحظ العثر لأن يكون شحاذا ؛ الى حل ألغاز توراندوت • وفى الحال تزوجت به توراندوت رغم سوء حاله •

واذا بحثنا عن سبب طرح توراندوت الألغـاز فى هذه الحكاية الشعبية فاننا نعثر عليه فيما سبق أن ذكرناه فى تفسير اللغز • لقـد كانت الأميرة تود أن تكشف الانسان العارف الذكى الذى يتمكن من حل الألغـاز ، ألغاز الحياة الزوجية • فلما نجح الامير الاخير ، ويـدعى خلف ، فى حل ألغازها تزوجت به فى الحال • ولم يكن القتل سوى عقاب صارم لهؤلاء الذين يتوسمون فى أنفسهم الكياسة والذكاء وهـم فى الحقيقة ليسوا سوى حمقى •

أما مسرحية شيلر فتحكى عن احتلال التتار لبـلاد الفرس • وقد كان نتيجة هـذا الاحتلال أن هرب الأمير خلف أمير استراخان ، مـع أبيه الملك تيمور متنكرين فى هيئة شحاذين هروبا من المقتفين لأثرهما • ثم عمل خلف مع أسرته فى حاشية ملك من ملوك التتـار يدعى كيكوباد وكانت له ابنة تدعى أديلمـا • وما أن وقع بصر أديلما على خلف حتى أحبته لأول وهلة •

ثم زج كيكـوبـاد نفسـه فى حرب مـع آلتوم ملك الصين وهـزم وتشتت عائلته وتشتت معهـا خـلف وأسرته • أمـا أديلما فقد اشتغلت فى حاشية ابنة ملك الصين توراندوت ، وأما خلف فقـد انضم مرة أخرى الى حاشية ملك تتـارى آخر • وأشفق هـذا الملـك على والد خلف وأمه فأودعهما فى مصحة ، كما أنه منح خلفـا مالا وحصانا ولباس فارس وسمح له أن يرحل حيثما يريد • وهنا عزم خلف على المغامرة بعد أن ودع والديه • وبعد فترة طويلة من المغامـرات استقر خلف فى بكين عاصمة الملك ألتوم • وهناك تقابل صدفة مع برك رئيس بلاطه من قبل ، وأسر اليه أنه عازم على العمل فى بلاط الملك آلتوم وهنا حذره برك من هذا الفعل • فلما سـأله خلف عن سـبب هـذا التحذير أخبره بأنه يخشى أن يدركه أذى الأميرة توراندوت التى اشتهرت بجمالها وذكائها ، والتى رسمها المصورون وانتشرت صورها فى جميع أنحاء العـالم • وشرح له برك كيف أن هذه الأميرة تكره الرجال وترفض الزواج منهم ولهذا فان كل من تقدم لخطبتها تشفى غليلها منه بأن تطرح عليه الغازا عسيرة الحل ، فان عجز عن حلها أمرت بقتله • وكان آخـر

ضحاياها ابن الملك كيكوباد • ولم يأبه خلف لقوله رغم كل ذلك • وفيما هما يتحادثان دخل عليهما سليمان ، صديق ابن كيكوباد ، وهو يبكى لمصرع صديقه على يد تلك الاميرة المتوحشة • ثم أطلعهما على صورتها التى كانت سببا فى مصرع صديقه ، ورماها بعد ذلك على الأرض وأراد أن يدوسها برجله • ولكن خلف منعه ومد يده وتناول الصورة • وما هى الا لحظة حتى كان خلف قد وقع فى غرام الأميرة وعزم على أن يتقدم لخطبتها مغامرا بحياته • فاما أن يحل الألغاز ويفوز بها ويرجع ملكا كما كان ، واما أن يلقى حتفه وتنتهى حياته ، اذ لم يكن يود أن يعيش فى هذا الذل •

وباءت محاولات برك بالفشل فى تجنيبه الاقدام على هذه المغامرة • وتقدم خلف لخطبة الأميرة • وغضب ألتوم والدها لمشاهدة مصرع شاب آخر ، وحاول أن يصرف خلف عن عزمه ، ولكن خلف لم يأبه به •

وتهيأ القصر لليوم المشهود ، واستعد المحكمون وبين أيديهم حل الألغاز • وطرحت الأميرة اللغز الاول وهو :

« ما الشجرة التى يذبل عليها أولاد البشر ، تلك الشجرة القائمة منذ الأزل وما تزال مخضرة دائما أبدا • أوراقها تنحو فى جانب منها نحو الشمس ، أما فى الجانب الآخر فتقف الأوراق سوداء كالفحم ولا ترى الشمس • وكلما أينعت تلك الشجرة أضافت حلقة الى عمرها ينطمس بداخلها اسم • ومع كل ذلك فلا يبدو عليها تقادم العمر وانما يبدو ذلك على الانسان •

وما ان فرغت توراندوت من طرح لغزها مزهوة ، حتى انبرى خلف يحله أمام الحشد ، وقال ان هذه الشجرة هى السنة بأيامها ولياليها •

وسعد الجميع بعثور خلف على حل اللغز ، حتى ألتوم الذى تمنى لو وضع حدا لكبرياء ابنته ولأعمالها الاجرامية • على أن أديلما التى

سبق أن وقعت فى غرام خلف وكانت تعمل الآن فى خدمة توراندوت . أخذت تتلو الدعوات حتى يفشل خلف فى حل اللغز الثانى • ثم طرحت توراندوت اللغز الثانى غاضبة ولكنها كانت واثقة من فشل خلف فى حله ، وقالت :

ما الصورة الرقيقة التى يشع منها الضوء والجمال دائما . تلك الصورة المحصورة داخل اطار ضيق ، ومع ذلك فانها ترى أكبر الأشياء • انها صورة تمتص كل العالم . حتى السماء مرسومة بداخلها . وكل ما ينعكس عليها يبدو أجمل مما هو عليه•

وأجاب خلف : « انها العين آيتها الأميرة . عيناك اذا أبصرت فيهما الحب » • وكان الجواب صحيحا • وذعرت الأميرة وسرى الهمس بين الحاضرين • ولم يبق بعد ذلك سوى لغز واحد وبعدها يتقرر مصير خلف ومصير الأميرة • ولكن توراندوت خشيت من الهزيمة ، فطلبت من خلف بلهجة آمرة أن يفر بنفسه لانه لا مفر فاشل فى حل اللغز الثالث • ولكن خلف أصر على سماع اللغز الثالث والأخير • وهنا انبرت توراندوت فى كبرياء طارحة لغزها وقالت :

« ما الشىء الذى لا تساوى قيمته كثيرا . ويصيب بالجروح كالسيف سواء بسواء وان كان الدم لا يذرف من جروحه • شىء تغلب على الأرض جميعها فأحال الحياة سهلة غنية ، وتسبب فى تشييد الممالك والبلدان من غير حرب أو قتال » • ثم ختمت الاميرة لغزها مهددة خلفا وقالت : « الحل أو الموت » •

ولكن خلف ضحك ضحكة هادئة وقال : « ان هذا الشىء الذى وصفتيه آيتها الأميرة هو المحراث » •

وكان الجواب صحيحا للمرة الثالثة • عند ذاك علا صوت الأميرة وهى تصرخ : « لا • لا • لم يكن الامتحان عادلا . لقد كان سهلا للغاية . لابد من امتحان آخر » • وهنا وقف والدها منهـ

موقفا صارما ورفض عرضها • وتدخل خلف حسما للنزاع وطلب من الملك ألا يقسو على ابنته وأن يمنحهـا فرصة أخرى ، لا لكى تطـرح عليه ألغازا جديدة ، وانما لكى تحاول حل لغزه هـو ، فتخبر عن اسمه واسـم أسرته واسم بلدته • فان هى نجحت فى ذلك فسوف يتركهـا ولا يتزوج بها ، وان هى فشلت فقدأصبحت له زوجة • وقبلت توراندوت عرضه وهى حيرى تسائل نفسها أنى لها معرفة ذلك • ولكنها لم تيأس كل اليأس فى استخدام حاشيتها فى التعرف على من يعرف خلف •

وبالفعل دبرت توراندوت المؤامرة لكى تجبر أحد أصدقاء خلف على البوح بسر أصله ونسبه • ولكن أباها ضبطها وهى تفعل ذلك • وأخبرها بأنه يعرف اسم الرجل وأصله وبلدته ، ولكنه لن يخبرها بذلك الا اذا وعدت بتنفيذ ما يخبرها به • فعليها أن تعلن ــ ارضـاء لكبريائها ــ اسمه ونسـبه على الجمع ، ولكن عليهـا ــ بعد أن يشعر الجميـع بانتصارها ــ أن تقبل خلفا زوجا لها • ومرة أخرى تسلط الكبرياء على توراندوف ورفضت طلب والدها ، واستأنفت مؤامرتها حتى عرفت كل شىء • وفى اليوم المشـهود وقفت أمام الحشد وكشفت عن اسم الرجل وأصـله ونسبه • وما أن سـمع خـلف ذلك حتى شهر سيفه وأراد أن يقتل نفسه • عند ذاك أسرعت توراندوت وقد غلبتها عاطفة المرأة ومنعته مـن أن يقتل نفسـه • وتقـابـلت العيون وشـعرت توراندوت فى الحال بأنها لن تستطيع التغلب على عاطفتها فى هـذه المرة • فصـارحت خلف باعجابها به وبأنهـا موافقة على الزواج منه •

فهذه حكاية لغز شعبى عرف عن الفرس ، وتمكن الشاعر شيلـر أن يحيله الى مسرحية هى مزيج من المأسـاة والكوميديا ، وأن يستغله فوق كل ذلك فى ابراز قوة المرأة وضعفها فى آن واحد •